لان الله تعالى قال لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فقال ولدي في الايتام فقال وهذا افعله ايضا فانه من يكن انت اباه فهو يتيم فانصرف عنه وقد اثبته في العميان وولده في الايتام وطلب بعض الاكابر من المبرد معلما لولده فبعث شخصا وكتب معه قد بعثت به وانا امتثل فيه

اذا زرت الملوك فان حسبي ... شفيعا عندهم ان يخبروني

ومعنى هذا البيت ماخوذ من كلام احمد بن يوسف كاتب المامون وقد اهدى اليه ثوب وشي في يوم نيروز وقد اهديت الى امير المؤمنين ثوب وشي يصف نفسه والسلام وكنت رايت المبرد المذكور في المنام وجرى لي معه قضية عجيبة فاحببت ذكرها وذلك اني كنت بالاسكندرية في بعض شهور سنة ست وثلثين وستماية واقمت بها خمسة اشهر وكان عندي كتاب الكامل للمبرد وكتاب العقد لابن عبد ربه وانا اطالع فيهما فرايت في العقد في فصل ترجمة بقوله ما غلط فيه على الشعرا وذكر ابياتا نسبوا اصحابها فيها الى الغلط وهي صحيحة وانما وقع الغلط ممن استدرك عليهم لعدم اطلاعهم على حقيقة الامر فيها ومن جملة من ذكر المبرد فقال ومثله قول محمد بن يزيد النحوي في كتاب الروضة ورد على الحسن بن هاني يعني ابا نواس في قوله

وما لبكر بن وايل عصم ... الا بحمقائها وكاذبها

فزعم انه اراد بحمقائها هبنقة القيسي ولا يقال في الرجل حمقاء وانما اراد دعة العجلية وعجل في بكر وبها يضرب المثل في الحمق هذا كله كلام صاحب العقد وغرضه ان المبرد نسب ابا نواس الى الغلط بكونه اتى بحمقائها واعتقد انه اراد به هبنقة وهبنقة رجل والرجل لا يقال حمقاء بل يقال احمق وابو نواس انما اراد دعة وهي امراة فالغلط حينئذ من المبرد لا من ابي نواس فلما كان بعد ليال قلائل من وقوفي على هذه الغاية رايت في المنام كاني بمدينة حلب في مدرسة القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد وفيها كان اشتغالي بالعلم وكاننا قد صلينا الظهر في الموضع الذي جرت العادة بالصلاة فيه جماعة فلما فرغنا من الصلاة قمت لاخرج فرايت في اخريات الموضع شخصا واقفا يصلي فقال لي بعض الحاضرين هذا ابو العباس المبرد فجئت اليه وقعدت الى جانبه انتظر فراغه فلما فرغ سلمت عليه وقلت له انا في هذا الزمان اطالع في كتابك الكامل فقال رايت كتابي الروضة فقلت لا وما كنت رايته قبل ذلك فقال قم حتى اريك اياه فقمت معه وصعد بي الى بيته فدخلنا اليه ورايت فيه كتبا كثيرة فقعد قدامها يفتش عليه وقعدت انا ناحية عنه فاخرج منه مجلدا ودفعه الي ففتحته وتركته في حجري ثم قلت قد اخذوا عليك فيه فقال اي شي اخذوا فقلت انك نسبت ابا نواس الى الغلط في البيت الفلاني وانشدته اياه فقال نعم غلط في هذا فقلت له انه لم يغلط بل هو على الصواب ونسبوك انت الى الغلط في تغليطه فقال وكيف هذا فعرفته ما قاله صاحب العقد فعض على راس سبابته وبقي ساهيا ينظر الي وهو في صورة خجلان ولم ينطق ثم استيقظت من منامي وهو على تلك الحال ولم اذكر هذا المنام الا لغرابته وكانت ولادة المبرد يوم الاثنين عيد الاضحى سنة ست ومايتين وقيل

سنة سبع ومايتين وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ست وثمانين وقيل من ذي القعدة وقيل خمس وثمانين ومايتين ببغداد ودفن في مقابر باب الكوفة في دار اشتريت له وصلى عليه ابو محمد يوسف بن يعقوب القاضي رحمه الله تعالى ولما مات نظم فيه وفي ثعلب ابو بكر الحسن بن علي المعروف بابن العلاف المقدم ذكره ابياتا سايرة وكان ابن الجواليقي كثيرا ما ينشدها وهي

ذهب المبرد وانقضت ايامه ... وليذهبن اثر المبرد ثعلب
بيت من الاداب اصبح نصفه ... خربا وباقي بيتها فسيخرب
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا ... للدهر انفسكم على ما يسلب
واري لكم ان تكتبوا انفاسه ... ان كانت الانفاس مما يكتب

وقريب من هذه الابيات ما انشده ابو عبد الله الحسين بن علي اللغوي البصري النمري لما مات ابو عبد الله محمد بن المعلى الازدي وكان بينهما تنافس وهي هذه

مضى الازدي والنمري يمضي ... وبعض الكل مقرون ببعض
اخي والمجتني ثمرات ودي ... وان لم يجزني قرضي وفرضي
وكانت بيننا ابدا هنات ... توفر عرضه منها وعرضي
وما هانت رجال الازد عندي ... وان لم تدن ارضهم بارضي

والثمالي بضم الثاء المثلثة وفتح الميم بعدها الف لام هذه النسبة الى ثمالة واسمه عوف بن اسلم وهو بطن من الازد قال المبرد في كتاب الاشتقاق انما سميت ثمالة لانهم شهدوا حربا فنيها اكثرهم فقال الناس ما بقي منهم الا ثمالة والثمالة البقية اليسيرة وفي المبرد يقول بعض الشعرا في عصره وهجا قبيلته بسببه وذكر ابو القالي في كتاب الامالي انها لعبد الصمد بن المعذل

سالنا عن ثمالة كل حي ... فقال القايلون ومن ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم ... فقالوا زدتنا بهم جهاله

فقال لي المبرد خل عني ... فقومي معشر فيهم نذاله

ويقال ان هذه الابيات للمبرد وكان يشتهي ان يشتهر بهذه القبيلة فصنع هذه الابيات فشاعت وحصل له مقصوده وكان كثيرا ما ينشد في مجالسه

يا من تلبس اثوابا يتيه بها ... تيه الملوك على بعض المساكين
ما غير الجل اخلاق الحمير ولا ... نقش البراذع اخلاق البراذين

والمبرد بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشددة وبعدها دال مهملة وهو لقب عرف به واختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك فالذي ذكره الحافظ ابو الفرج بن الجوزي في كتاب الالقاب انه قال سئل المبرد لم لقبت بهذا اللقب فقال سببه ان صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة فكرهت الذهاب اليه فدخلت الى ابي حاتم السجستاني فجاء رسول الوالي يطلبني فقال لي ابو حاتم ادخل في هذا يعني غلاف مزملة فارغا فدخلت فيه وغطى راسه ثم خرج الى الرسول فقال ليس هو عندي فقال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 